

تفسير البحر المحيط

. @ 213 @

ليعلم ربي أن بيتي واسع .

وقال الزمخشري : في قراءة الحسن ، ولا يصح أن تكون اللام لام قسم لأمرين ، أحدهما : أن حقها أن تقرن بها النون المؤكدة ، والإخلال بها ضعيف قبيح ؛ والثاني : أن لأفعلن في جواب القسم للاستقبال ، وفعل القسم يجب أن يكون للحال . انتهى . أما الأمر الأول ففيه خلاف ، فالذي قاله قول البصريين ، وأما الكوفيون فيختارون ذلك ، ولكن يجيزون تعاقبهما ، فيجيزون لأضربن زيدا ، واضربن عمرا . وأما الثاني فصحيح ، لكنه هو الذي رجح عندنا أن تكون اللام في لا أقسم لام القسم ، وأقسم فعل حال ، والقسم قد يكون جوابا للقسم ؛ كما قال تعالى : { وَلَئِيْحَلْفَنَ إِنُّ أَرَدْنَا إِلاَّ الْخُسْفَى } . فاللام في { وَلَئِيْحَلْفَنَ } جواب قسم ، وهو قسم ، لكنه لما لم يكن حلفهم حالا ، بل مستقبلا ، لزمّت النون ، وهي مخرجة المضارع للاستقبال . وقرأ الجمهور : { بِمَواقِعِ } جمعا ؛ وعمر وعبد ابن عباس وأهل المدينة وحمزة والكسائي : بموقع مفردا ، مراداف به الجمع . قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد وغيرهم : هي نجوم القرآن التي أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، ويؤيد هذا القول قوله : { وَإِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ } ، فعاد الضمير على ما يفهم من قوله : { بِمَواقِعِ النُّجُومِ } ، أي نجوم القرآن . وقيل : النجوم : الكواكب ومواقعها . قال مجاهد وأبو عبيدة : عند طلوعها وغروبها . وقال قتادة : مواقعها : مواضعها من السماء . وقال الحسن : مواقعها عند الانكدار يوم القيامة . وقيل : عند الانقراض أثر العفاري ، ومن تأول النجوم على أنها الكواكب ، جعل الضمير في إنه يفسره سياق الكلام ، كقوله : { حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ } . .

وفي إقسامه تعالى بمواقع النجوم سر في تعظيم ذلك لا نعلمه نحن ، وقد أعظم ذلك تعالى فقال : { وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَّ عَظِيمٌ } . والجملة المقسم عليها قوله : { وَإِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ } ، وفصل بين القسم وجوابه ؛ فالظاهر أنه اعتراض بينهما ، وفيه اعتراض بين الصفة والموصوف بقوله : { لَّوْ تَعْلَمُونَّ } . وقال ابن عطية : { وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ } تأكيد للأمر وتنبيه من المقسم به ، وليس هذا باعترض بين الكلامين ، بل هذا معنى قصد التهمم به ، وإنما الاعتراض قوله : { لَّوْ تَعْلَمُونَّ } . انتهى . وكريم : وصف مدح ينفي عنه مالا يليق به . وقال الزمخشري : { كَرِيمٌ } : حسن مرضي في جنسه من الكتب ، أو نفاع جم المنافع ، أو كريم على الله تعالى . { فَيَكْتَابِ

مَكْدُونٍ { : أي مصون . قال ابن عباس ومجاهد : الكتاب الذي في السماء . وقال عكرمة :
التوراة والإنجيل ، كأنه قال : ذكر في كتاب مكنون كرمه وشرفه ، فالمعنى على هذا
الاستشهاد بالكتب المنزلة . وقيل : { فَيَكْتَابُ مَكْدُونٍ } : أي في مصاحف للمسلمين
مصونة من التبديل والتغيير ، ولم تكن إذ ذاك مصاحف ، فهو إخبار بغيب . .
والظاهر أن قوله : { لَا يَمَسُّهُ إِلَّا اللَّاحُطُهَا رُونَ } وصف لقرآن كريم ،
فالمطهرون هم الملائكة . وقيل : { لَا يَمَسُّهُ } صفة لكتاب مكنون ، فإن كان الكتاب هو
الذي في السماء ، فالمطهرون هم الملائكة أيضاً : أي لا يطلع عليه من سواهم ، وكذا على
قول عكرمة : هم الملائكة ، وإن أريد بكتاب مكنون الصحف ، فالمعنى : أنه لا ينبغي أن يمسه
إلا من هو على طهارة من الناس . وإذا كان { اللَّاحُطُهَا رُونَ } هم الملائكة ، { فَلَا *
يَمَسُّهُ } نفي ، ويؤيد النفي ما يمسه على قراءة عبد الله . وإذا عني بهم المطهرون من
الكفر والجنابة ، فاحتمل أن يكون نفيًا محضًا ، ويكون حكمه أنه لا يمسه إلا المطهرون ،
وإن كان يمسه غير المطهر ، كما جاء : { لَا تُنْبِتُوا شَجَرَهَا } ، أي الحكم هذا ، وإن
كان قد يقع العضد . واحتمل أن يكون نفيًا أريد به النهي ، فالضمة في السين إعراب .
واحتمل أن يكون نهيًا فلو فك طهر الجزم ، ولكنه لما أدغم كان مجزومًا في التقدير ،
والضمة فيه لأجل ضمة الهاء ، كما جاء في الحديث : (إنا لم نرده عليك) ، إلا إنا جزم ،
وهو مجزوم ، ولم يحفظ سيبويه في نحو هذا من المجزوم المدغم المتصل بالهاء ضمير المذكر
إلا الضم . قال ابن عطية : والقول بأن لا يمسه نهي ، قول فيه ضعف